



وقفه اعتبار مع ديوان الإشارات للمرحوم الشاعر : فريد الأنصاري

تمهيد : مثل المرحوم الشاعر العالم الداعية إلى الله عز وجل الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري في أفول نجم عمره الفاني السريع كممثل شجيرة حديثة عهد بالحياة ما كاد سوقها يستقيم قليلا، وتونع وتورق وتزهر حتى أثمرت كثيرا بفضل ربها، ولكنها سرعان ما ذوت مخلفة وراءها ثمرا وفيرا، فكان ذلك سبب حيرة الحائرين إذ كيف يكون الجني الوفير مع العمر القصير، وماذا لو قدر الله سبحانه أن تصير الشجيرة دوحه؟ هذا ولم يكن المرحوم صاحب هذر وهراء لهذا فكل كلامه يستوجب الوقوف الطويل من أجل العبرة وإدراك كنه ما أودع الله عز وجل في نفسه من حكمة لأنه من ذوي الحظ العظيم «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا».



إعداد : ذ. محمد شرقي

الشاعر، ويفسوف له السفر الروحي.

(4) وقفه مع ما بين مقدمة الإشارات وخاتمتها :

تبدأ مقدمة الإشارات مع ليل يرحل نحو الفجر، زمن الجني، وتنتهي خاتمة الإشارات بربيع يبشر بالجني. والشاعر عبر رحلته الروحية من ليل إلى فجر وربيع يبحث عن أنس روحي لا تساله عنه وظن خيرا. وما بين المقدمة والخاتمة إشارات تحيل على هذه الرحلة الروحية المصاحبة لرحلة أرضية عبر القطار مع وقفات خلال الرحلة العجيبة.

(5) طبيعة الإشارات :

تقارب إشارات هذا الديوان المائة إشارة إلا ثلاثا أغلبها أسطر تفعيلية وقليل منها أبيات تقليدية. وإذا حاولنا تصنيف الإشارات إلى حقول دلالية باعتبار عناوينها فقط يكون الناتج ما يلي :

● (أ) حقل الأحوال ويتضمن العناوين الآتية :

(سكينة / بشارة / اللقاء / توبة / ميلاد / المصير / السفر / وصفة / حزين / السجين / الصلاة / الجهاد / العمى / التوحيد / المنفى / الاستشفاء / حيرة مرآة / توهم / موت / زيادة نقصان / المحب الصادق / جناح مجهد / عراجين الصبر / تواطؤ على الموت / القيام / الشهادة / العطش / الحيرة / ركون / دعاء / حسرة / سلام / رجاء / حقيقة / فتنة / استسقاء / ترقب / ضياع / افتقار / سالك / نبضة / ضلال / أنين / أذان فجر / سبحة / احتراق / تساقط / مسافر / استغاثة / وحملها الإنسان / وداع).

● (ب) حقل الطبيعة ويتضمن العناوين الآتية :

(شروق / المساء / السحر / العاصفة / الندى / مأساة الزيتون / أول الخريف / الأريج / بارقة الليل / موت الليل / هديل الواحة / قمصان النخل / أزهار الشيح / فتن الأضواء / سراب / قطرة / زهرة اللوز / الجنان / زهرة المشمش / مر الزهور / زهرة الحناء / رياح فوارة / الغدير / الطيف الضائع / زهرة الخشخاش / زهرة الخرشوف البري)

● (ج) حقل الأمكنة ويتضمن العناوين الآتية :

(فاس / تافيلالت / القصر الكبير / المدينة الفاضلة)

● (د) حقل الأشياء ويتضمن العناوين الآتية :

(شهد مر / مسروقات / قصة قصيرة / رسالة / القرن / المهر)

● (هـ) حقل المفاهيم ويتضمن العناوين الآتية :

(المستحيل / السبب / أجل / مغتسل السلام / إشارة / فاتحة)

● (و) حقل الأزمنة ويتضمن العناوين الآتية :

(الزمن / الوقت / فترة)

فإذا ما تأملنا هذه الحقول نجد الهيمنة لحقل الأحوال مما يضفي على ديوان

تتمة : ص 44

اللتين نفعان إما قبل أو بعد باقي الإشارات.

ولما كان شاعرنا مولعا بالسفر من منطلق إيمانه بالسفر عبر الدنيا إلى الآخرة فقد ذكر أنه من موافقات إشارات أنها كتبت في حالة السفر، والسفر عنده مناسبة لانطلاق الجسد والروح إلى فضاء الجمال. ونبه رحمه الله إلى أن هذه الإشارات عرفت تطورا في شكلها ومضمونها عبر تسلسلها التاريخي.

(1) وقفه عند عنوان الديوان :

من التقاليد النقدية اعتبار عناوين الأعمال الإبداعية الشعرية أولى عتبات ولوج عوالمها. وعنوان "ديوان الإشارات" يتكون من لفظتين أضيفتا إلى بعضهما، وهو عبارة عن جملة اسمية صدرها كلمة ديوان وهي مبتدأ مضاف إلى اسم الإشارات وخبر المبتدأ غائب يقدر بحسب الأحوال، والتقدير فرصة من فرص الاستشراف والتوقع. فالتوقع من هذا الديوان هو ما تحمله لفظة "إشارات" من دلالات. فالمادة اللغوية لهذه اللفظة :

شار، وأشار، واستشار، وشور - بتضعيف الواو - وشاور تحيل على العديد من الدلالات التي بينها كبير قرابة ومناسبة. ومن دلالات هذه المادة اللغوية : الترويض من أجل الاختبار، والهيئة واللباس الحسن الجميل، وجمال الطلعة وحسنها، والسمنة، والرخاء، وجني العسل المصفى، والإمءة، والتعريف، والنصح، والتبين، والاستنارة، ورفع النار. بكل هذه الدلالات تنطق معاجم لغتنا العربية بخصوص هذه المادة اللغوية. إذا كانت الدلالة المرشحة الأولى والمتداخلة عرفا وعادة هي الإمءة، فباقي الدلالات لا تعدم في هذا الديوان الشعري، فهو ترويض للنفس الضالة، وهو تجمل بلباس التقوى إذ يبدو الشاعر ● شيرا، وهو شهد عسل مشور، وهو إلى جانب هذا وذاك شوار أي رخاء - إذا جاز أن يوصف وصف الرياح - وهو معرفة ونصح إلى رشد و صواب.

والإشارات تستعمل عادة للتلميح لا للتصريح، وهي في بعض الأحيان مدعاة للدهشة والاستغراب كما هو الحال في إشارة القرآن الكريم المشهورة: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبيا» فمن المدهش حقا أن يشار إلى صبي يتكلم في المهدي فسبحان من كلمه.

والمتصفح لإشارات الأنصاري رحمه الله تعالى لا بد أن يقع في أفاق توقعاته شيء من الاندهاش والاستغراب إزاء تلميحاته لا يزولان إلا بانجلاء حقائق التصريح.

(2) وقفه مع فاتحة الإشارات :

يحمل النص الأول من الإشارات عنوان "إشارة" نكرة غير مقصودة، وهذا النص عبارة عن عشرة أسطر من شعر التفعيلية خامسها عبارة عن بياض طباعي مقصود. يقول الشاعر في هذا النص :

غصن الليل الساجي يوقظ بالأنداء
الولهى أسحاره

ويسافر عبر الريح إلى الفجر الأخضر
ميادا...

فعل براعمه تكسب من قنديل الوارد
أنواره

ولما طلب مني أن أعطي جانبا من إبداعه بمناسبة احتفال جريدة المحجة الغراء بآثاره اعترافا بسعيه المشكور في مجال الدعوة لم أتردد وأنا الذي تشوقت كثيرا للإدلاء بدلوي في شرف الحديث عن رجل رباني تعشقه القلوب المؤمنة عسى أن أحظى بحب الله تعالى ورضاه الذي كتبهما لمن يحب أوليائه، وهو عندي من أولياء الله عز وجل ولا أزكيه عليه سبحانه، إلا أنني احترت في نوع المشاركة، وفي نوع العمل الإبداعي الذي أستطيع تغطيته بوقفه اعتبار قبل كل شيء، فحدثت أخي الفاضل الأستاذ عبد المجيد بن مسعود في الموضوع فوجدته سبقني إلى عمل سردي من أعمال المرحوم يدرسه، فيمتم صوب أخي الفاضل الشاعر محمد علي الرباوي فناولني ديوان الإشارات للمرحوم وكان في صندوق سيارته مع مجموعة من أعماله، كان ينظر فيها وقد هزته منية الفقيه خصوصا وأنه لم يكتشف مقدار حبه له كما أخبرني بحسرة المغبون إلا بعد رحيله وقراء عبارات الإهداء التي كان يخطها بيمينه على صدر أعمال أهداها له في شتى المناسبات. وما كدت أتصفح هذا الديوان حتى عشقته عشق هيام بسبب إهدائه الشاعر ونصه : «إلى قوافل المستضعفين... الذين عرفوا فاغترفوا... ثم لبسوا الأكفان بأيدي اليقين... عسى أن يولدوا من جديد وما هؤلاء إلا عباد الله الصالحين؟ والحقيقة أن هذا الإهداء هو أول إشارات هذا الديوان إن لم أقل أحسنها على الإطلاق وهو إهداء تناص مع قول رب العزة جل جلاله : «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» لقد ذكر الأنصاري قوافل المستضعفين وما أكثرها في هذا الزمان، وبشرهم بالوعد الحق لإمامة ووراثه، ونعمت الإشارة.

وما كدت أتجاوز هذا الإهداء الروحي والفني في نفس الوقت حتى شدني إلى ديوان الإشارات تقديم أكره عليه الشاعر وهو لا يحب التقديم للشعر بكلام وخالصته أنه وهو طالب بجامعة فاس المحروسة قرأ مقالا للمرحوم عبد الوهاب المسيري في مجلة الدوحة القطرية يتحدث فيه صاحبه عن نوع من الشعر الياباني يسمى "الهايكو" وهو من أقصر أنواع الشعر إذ لا تزيد أبياته أو أشطاره عن الثلاثة يتسامر به اليابانيون ويتعشقونه حتى أنهم يكتبون قطعاً منه على جذوع الشجر وأوراقها، وهو شعر روحي ينقل التجربة الدينية البوذية. واكتشف المرحوم أن الثقافة العربية الإسلامية لا تخلو من شعر يشبه شعر اليابانيين هذا، ويتعلق الأمر بشعر الإشارات الصوفية، لهذا قرر أن يخوض التجربة مستانسا بالهايكو الياباني والإشارات الصوفية العربية الإسلامية ولكن بذوقه وذوق عصره وهمومه.

وإشارات المرحوم عبارة عن مقطوعات قصيرة تتراوح ما بين الأبيات أو الأسطر الثلاثة من شعر التفعيلية أو شعر الوزن التقليدي إلى ما فوق العشرة بقليل. وقد أشار إلى أن إشارات قد رتبت ترتيبا تاريخيا باستثناء الإشارة الأولى والأخيرة